الفصل الرابع

الدعاية فى الصراع الصينى السوفيتى

obeikandl.com

obeikandl.com

الدعاية فى الصراع الصينى السوفييتى

إننا إذ نخصص هذا الفصل للبحث فى أوجه الصراع الصينى السوفييتى ، إنما نستهدف فى حقيقة الأمر إلقاء المزيد من الضوء على الأيديولوجية السياسية والدعائية للاتحاد السوفييتى فى علاقته الحالية بالعالم الخارجى . فمنذ عام ١٩٦٣ تدور مناظرة كبيرة وخطيرة بين الدولتين الشيوعيتين الكبيرتين ولقد تطورت هذه المناظرة من الهمسات الخافتة إلى الصراع العلنى الذى وصل إلى درجة الاصطدام المسلح عند الحدود الصينية السوفيتية . وبرغم أن وقوف الاتحاد السوفييتى مع الشيوعيين الصينيين كان من عناصر نجاح هؤلاء إلا أن الصراع الحالى بينهما جعل الصينيين يتنكرون للاتحاد السوفييتى ويوصمون قادته بألقاب « التحريضيين » وعملاء الإمبريالية .

وقد وصل هذا الصراع إلى نقطة اللاعودة بعد إعطائه بعداً عقائدياً خلال ما عرف بثورة ماو الثقافية . . وكرست كلا الدولتين كافة وسائل دعايتها — للتشهير بالأخرى وإثبات أنها المنحرفة عن الماركسية اللينينية .

حول المركزية فى الحركة الشيوعية العالمية

ولقد أخذت المناظرة بين الصينيين والسوفييت فى بدايتها طابع السرية ولكنها ما لبثت أن أصبحت علنية سافرة عندما وجه السوفييت إلى الصينيين — تهمة — محاولة اغتصاب القيادة ، ورد الصينيون بأن وجهوا لهم هذا السؤال : نريد أن نسأل قادة الحزب الشيوعى السوفييتى : تقولون إننا نريد اغتصاب القيادة ؟فممن نريد اغتصابها ؟ ومن فى يده القيادة الآن ؟ وهل يوجد فى الحركة الشيوعيةالعالمية شىء يسمى قيادةتتحكم فى جميع الأحزاب الشقيقة ؟ وهل هذه القيادة فى يدكم ؟

وأجاب السوفييت على التساؤل الصينى مؤكدين :

« إن القوة القيادية والتوجيهية للنظام الاشتراكى العالمى هى الاتحاد السوفييتى بلد الاشتراكية الأول الذى اكتسب خبرة غنية فى بناء الاشتراكية ولهذا فإن بلدان النظام الاشتراكى العالمى تعتمد عن حق على الدور القيادى للاتحاد السوفييتى وفى هذا النظام ضمانة نجاحه فى التحول الاشتراكى [1] » .

ولم تسكت الصين من ناحيتها بل شنت كافة أجهزتها الدعائية حملة مضادة كشفت عن مرمى وأبعاد التساؤل الصينى مؤكدة أن الصين هى المركز الجديد للثورة العالمية وموجهة إلى الحزب الشيوعى السوفييتى والأحزاب الشيوعية الأخرى المساندة له تهمة خيانة الثورة الماركسية اللينينية .

وفى هذا المعنى كتبت صحيفة جيش التحرير اليومية فى عددها الصادر فى ٦ يوليو ١٩٦٦ تقول :

« إن كل الشعوب والأمم المضطهدة فى العالم بأسره تعلق آمالها الآن على الصين الجديدة الثورية .. لقد غدا بلدنا قاعدة الثورة العالمية . وغدا حزبنا حامل لواء الثورة العالمية . وفكر ماوتسى تنج هو قبس الثورة العالمية » .

ولقد جرفت هذه المعركة أحزاباً شيوعية أخرى وقف معظمها إلى جانب السوفييت بينما وقف بعضها بجانب الصين مثل الحزب الشيوعى الألبانى والحزب الشيوعى البلجيكى ، بينما آثر الحزب الشيوعى الكورى الوقوف على الحياد .

احتدام الخلاف الأيديولوجى واشتداد حرب الدعاية

ولم يتوقف الخلاف الصينى – السوفييتى عند قضية مركزية القيادة فى الحركة الثورية العالمية ، أو كما سماها خروشوف – مشكلة الرأس – بل انتقل إلى قضايا أيديولوجية أكثر عمقاً وأشد خطورة ، قضايا أساسية فى البناء النظرى الماركسى اللينينى وبالتالى فى عملية الممارسة الثورية من أجل سيطرة البروليتاريا وأسلوب التغيير الثورى ، أى أن الخلاف أصبح خلافاً فى التكتيك والاستراتيجية على السواء .

---

(١) جورج طرابيشى : النزاع السوفياتى – الصينى ص ١٤ – ٢٦ .

وليس هذا بالأمر المستغرب ، فمنذ بداية عام ١٩٤٩ دعا ماوتسى تونج إلى استقلال الصين استقلالاً ذاتيا عقائديًا ، وأصر الصينيون على أنهم قد اكتشفوا أطواراً جديدة من الشيوعية وأن ماو تسى تونج قد حول الماركسية من الطابع الأوربى إلى الطابع الآسيوى . وهو الذى قاد شعب الصين فى كفاحه إلى النصر ، وحل المشكلات الصينية واستخدم التحليل الماركسى اللينينى لتفسير التاريخ الصينى وتوصل إلى نظرياته فى الثورة مستقلا عن الفكر السوفييتى حين اعتمد فى إشعالها وإنجاحها على طبقة الفلاحين بدلاً من طبقة البروليتاريا . وبعد وفاة ستالين أخذ الصينيون ينظرون إلى ماوتسى تونج على أنه أحد الفلاسفة الأفذاذ فى العصر الحديث وأنه يجب ألا يتلقى أوامره من موسكو سواء بالنسبة إلى السياسة الخارجية للصين أو بشأن نمط التنظيم الشيوعى الداخلى . هذا بالإضافة إلى أن ماوتسى تونج يعتبر نفسه ، كما يعتبره الصينيون زعيماً للثورة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

ولقد كان فى مقدمة عوامل الشقاق بين البلدين الشيوعيين الاختلاف حول قضيتين أساسيتين فى الفكر الماركسى اللينينى هما : قضية الانتقال السلمى إلى الاشتراكية وقضية التعايش السلمى مع النظام الرأسمالى .

أولا – قضية الانتقال السلمى إلى الاشتراكية :

لمدة طويلة . وطوال حقبة الحرب الباردة بين المعسكر الرأسمالى والمعسكر الاشتراكى لم تثر قضية الانتقال إلى الاشتراكية – داخل صفوف المعسكر الاشتراكى – فقد كان هناك شكلان متعارف عليهما للانتقال إلى الاشتراكية هما : طريق الثورة الروسية والثورة الصينية وطريق الديمقراطيات الشعبية فى شرق أوربا ، بيد أن التطورات التى حدثت بعد الحرب العالمية الثانية واتخاذ كثير من الدول النامية الحديثة الاستقلال طريق التحول السلمى إلى الاشتراكية ، كل هذه العوامل دفعت بقضية الانتقال إلى الاشتراكية إلى مجال المناقشة وكان من الطبيعى فى هذه الظروف أن يعاود المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفييتى المنعقد فى فبراير ١٩٥٦ تأكيد المبدأ اللينينى القائل بتعدد الطرق للوصول إلى الاشتراكية

حسب ظروف كل أمة بما فى ذلك الطريق السلمى الديمقراطى ، وفى هذا المعنى يقول تقرير المؤتمر المذكور :

« إن من المحتمل أن تظهر أشكال أخرى للتحول الاشتراكى ، وفضلا عن ذلك فإن تحقق هذه الأشكال لا يحتاج لأن يقترن بحرب أهلية فى جميع الظروف . وليس صحيحاً أننا نعتبر العنف والحرب الأهلية كطريق وحيد لإعادة تشكيل المجتمع » .

ويبدو أن هذا القرار قد أشعل شرارة الخلاف بين البلدين وإن لم يتخذ الخلاف شكلاً علنياً إلا فى سنة ١٩٥٩ ، وهى السنة التى شهدت إلغاء الاتفاقات التكنولوجية بين البلدين . وتلا ذلك فى سنة ١٩٦٠ خفض المعونة السوفييتية للصين ثم إلغائها وسحب الخبراء السوفييت من الصين .

ذلك أن الصين رأت فى ذلك القرار خروجاً عما تنسبه إلى لينين من القول بأنه لا يوجد ماركسى جاد يعتقد أنه من الممكن التحول من الرأسمالية إلى الاشتراكية بدون حرب أهلية[1] .

فى ١٠ نوفمبر ١٩٥٧ بعثت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى بمناسبة انعقاد مؤتمر الاثنى عشر حزباً بكتاب تضمن « عرضاً للآراء حول مسألة الانتقال السلمى ، وكان واضحاً من ذلك الكتاب (الذى لم ينشر إلا فى عام ١٩٦٣) أن الحزب الشيوعى الصينى لا يوافق على مبدأ الانتقال السلمى إلى الاشتراكية .

وتلخص الفقرات التالية من المقال المنشور فى مجلة العلم الأحمر الصينية وجهة نظر الصين فى هذا الشأن ، يقول المقال :

« على البروليتاريا أن تلجأ إلى الثورة لتستولى على سلطة الدولة وتحطم الجهاز العسكرى البيروقراطى للبرجوازية وتقيم دكتاتورية البروليتاريا مكان دكتاتورية البرجوازية » والذين يعرفون جيداً تاريخ نضال البروليتاريا يعلمون أن هذه المسألة

---

(١) حسين فهمى مصطفى : العلاقات السوفييتية الصينية – الكاتب – أغسطس ١٩٦٩ .

الأساسية تشكل على وجه التحديد الخط الفاصل بين الماركسيين من جهة ، وبين الانتهازيين والتحريفيين من الجهة الأخرى » .

« لاشك فى أنه لو كان فى وسع البروليتاريا أن تستولى على السلطة وأن تحقق الانتقال إلى الاشتراكية بالطريق السلمى لكان ذلك فى مصلحة الشعب تماماً . ومن الخطأ عدم استخدام هذه الإمكانية عندما تظهر . . بيد أنها تظل دوماً كما قال لينين « إمكانية استثنائية فى تاريخ الثورات[1] » .

وهكذا برزت نقطة أخرى من نقاط الخلاف الرئيسية وسعت الهوة بين الطرفين ، وصعدت الحرب الدعائية بين البلدين إلى حد تبادل اتهامات لا تقل عنفاً عما يردده خصوم الشيوعية أنفسهم ، بل إن هذه الاتهامات أخذت تنصب على الأشخاص بشكل ظاهر واتسمت بطابع غريب من المرارة والقسوة والشراسة . فى ٣١ مارس ١٩٦٤ نشرت بكين بياناً طويلاً تحرض فيه على قلب خروتشوف وتصفية اتجاهاته ، وتدعو فيه الأحزاب الشيوعية إلى الوقوف بجانبها ، وتعدها بالنجاح بفضل تأييد بكين إذا سارت هذه الأحزاب فى طريق الثورة العنيفة التى يسير فيها ماوتسى تنج « النضالى » وتبشرها بالانحلال والموت إذا اتبعت طريقاً مخالفاً . . . واللغة التى صيغت بها الوثيقة غير مألوفة فى تاريخ الشتائم بين الحكومات ورؤساء الأحزاب ومليئة بالاتهامات الموجهة إلى خروتشوف نفسه .

وفى ٢٥ أبريل عام ١٩٦٤ نشرت صحيفة « برافدا » مقالا ردت فيه على القادة الصينيين واتهمتهم بأنهم يحاولون إنشاء كتلة جديدة داخل مجموعة الدول الأفرو آسيوية وذلك بإقصاء الاتحاد السوفييتى عن جبهة التحرير من الاستعمار التى أنشئت فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ودعت الصحيفة إلى العمل من أجل إحباط — المحاولات الصينية لبذر بذور الانشقاق فى صفوف الكتلة المناهضة للاستعمار التى تناضل من أجل الحرية والسلام والاستقلال ، وقالت إن هدف الصين من إنشاء كتلة جديدة هو فرض الخط الذى تنتهجه فى السياسة الدولية على هذه الكتلة وأن هذا لا يخدم قضايا شعوب آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية

---

(١) جورج طرابيشى — المرجع السابق ص ٤١ .

ولكنه يخدم مصالح الاستعمار لأنه يضعف الجبهة التى تناضل ضد المؤامرات الاستعمارية [١] .

ولم يخف « ليونيد بريجينيف » تضايقه من الدعاية التى تشنها الصين ضد السوفييت فقد جاء فى تقريره إلى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى ما يلى : « أما فيما يختص بعلاقاتنا مع جمهورية الصين الشعبية فإن القادة الصينيين تقدموا كما هو معروف بمنهاج فكرى سياسى خاص بهم فى المسائل الأساسية للحياة الدولية والحركة الشيوعية العالمية يتنافى مع اللينينية وطالبوا بالتخلى عن خط المؤتمر العشرين وعن برنامج الحزب الشيوعى السوفييتى وقاموا بحملة دعاية عدائية شديدة ضد حزبنا وبلدنا وتقدموا بمطالب إقليمية من الاتحاد السوفييتى بل لقد ساروا بالأمر إلى حد الاصطدامات المسلحة على الحدود فى ربيع صيف سنة ١٩٦٩ ولقد عارض حزبنا بشدة محاولات تشويه تعاليم الماركسية — اللينينية وإحداث الشقاق فى الحركة الشيوعية العالمية وفى صفوف المناضلين ضد الإمبريالية . كما حافظت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى والحكومة السوفييتية على هدوء الأعصاب ولم تستجب للاستفزازات وبذلنا كل ما يمكننا لإعادة العلاقات مع جمهورية الصين الشعبية إلى حالتها الطبيعية .

ولكننا من جهة أخرى لا يمكن طبعاً أيها الرفاق أن نتجاهل استمرار الخط المعادى للسوفييت فى دعاية الصين وسياستها وتأكيد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعى الصينى هذا الخط فى قراراته . إننا نرفض بشدة ما ينشر من بكين ويغرس فى أذهان الشعب الصينى من افتراءات على سياسة حزبنا ودولتنا . إن بذر بذور الخلاف بين الصين والاتحاد السوفييتى يبدو أكثر سخافة وضرراً إذا ما وضعنا فى الاعتبار أن ذلك يحدث فى وضع ينشط فيه الإمبرياليون أعمالهم العدوانية ضد الشعوب المحبة للحرية . فالجو يتطلب أكثر من أى وقت تلاحماً وأعمالاً مشتركة بين جميع القوى الثورية المعادية للإمبريالية بدلا من تغذية العداء بين دولتين كالاتحاد السوفييتى والصين [٢] .

---

(١) د. راشد البراوى : الصراع الكبير بين الاتحاد السوفييتى والصين ص ٢٥٢ .

(٢) من خطاب ليونيد بريجنيف فى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى (مارس / أبريل ١٩٧١) .

ثانياً : قضية التعايش السلمى مع الرأسمالية :

تدور المناظرة بين السوفييت والصينيين حول مسألة التعايش السلمى حول السؤال التالى :

هل يوجد التعايش السلمى ظروفاً أفضل لثورات الشعوب التحررية أم لا ؟

فالجانب السوفييتى يرى أن السلام يخلق ظروفاً أكثر ملاءمة لتطوير النضال الطبقى الذى تخوضه الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية ولدعم حركة التحرر الوطنى فى العالم ، ولذلك فهو ينادى بإحلال التعايش السلمى بين الأنظمة المختلفة محل الحروب إيماناً منه بأن المنافسة السلمية بين النظامين سوف تؤدى فى النهاية إلى انتصار الشيوعية .

أما الجانب الصينى فإنه يرى أن هزيمة السياسة الإمبريالية العدوانية إنما يكون بتكتيل قوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى والسلام ودعم أواصر وحدتها فى صراع لا تهدأ حدته . فهذا العصر هو عصر الثورات التى ستنتهى حتماً بتدمير الإمبريالية العالمية التى تمثل أمريكا قاعدة ارتكازها الأساسية . ومن ثم فإن بكين ترى تكثيف الصراع ضد الولايات المتحدة على المستويين الآسيوى والعالمى وتشديد الضغوط على سياستها ومخططاتها (١) .

والحقيقة أن تحمس الصين لهذه الاستراتيجية الثورية بل وإسرافها فى تحبيذها والدفاع عنها بغض النظر عن أوضاع المجتمع الدولى كانت وما زالت تشكل مصدراً أساسياً من مصادر النزاع الصينى السوفييتى .

ولقد ظهرت بوادر الخلاف بين الاتحاد السوفييتى والصين حول تنفيذ مبادئ هذه الاستراتيجية الصينية الدولية فى إطارها الثورى المتطرف مع إطلاق السوفيت لأول صواريخهم العابرة للقارات (سبوتنيك) عام ١٩٥٧ . وهو الحدث الذى اعتبره الصينيون بمثابة نقطة تحول فى تاريخ الجنس البشرى ، وانه كان دلالة قاطعة على أن ريح الشرق كانت قد بدأت تغلب على ريح الغرب . ومن ثم

(١) Vidya P. Dutt : "China & The World", Praeger, New York, 1962 - P. 48-87.

فقد اشتدت حدة الدعاية الصينية الموجهة ضد الإمبريالية الأمريكية التى وصفت بالضعف إزاء القوة المتعاظمة للنظام الاشتراكى العالمى ، كما بدأت الصين تطالب الاتحاد السوفييتى بانتهاج سياسات أكثر عنفاً وتشدداً ضد أمريكا والغرب .

ولكن الاتحاد السوفييتى لم يشأ أن يساير هذا الاتجاه الصينى على إطلاقه . فهو رغم تسليمه مع الصين بأن ثمة تحولا قد حدث فى أوضاع التوازن الاستراتيجى لعلاقات القوى بين الكتلتين بسبب اختراعه للصواريخ العابرة للقارات إلا أنه اختلف مع الصين فى استخلاص النتائج المترتبة على هذا التحول . فالسوفييت لم يشاركوا الصينيين رأيهم فى أن التفوق العسكرى والتكنولوجى الاشتراكى لم يكن حاسماً إلى درجة تبرر الدخول فى مواجهات نووية ضد أمريكا ، وإنما كان من رأيهم أن الترسانة النووية الأمريكية كانت من الضخامة بحيث تجعل من حدوث هذه المواجهات كارثة لا يمكن تحمل آثارها .

وقد أدى ذلك بالصين الشيوعية إلى مهاجمة الاتحاد السوفييتى لما اعتبرته مبالغة من جانبه فى تقدير قوة الإمبريالية وقوى الرجعية العالمية بالمقارنة مع قوى الثورة فى العالم .

وكان اعتقاد الصينيين هو أن النظام الإمبريالى العالمى كان يتفسخ وينهار وأن ريح الثورة كانت تعصف بمواقع السيطرة الإمبريالية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية كما أظهرت الصين عدم اكتراثها بموضوع التهديد النووى الأمريكى الذى نظرت إليه على أنه لم يكن أكثر من وسيلة للإرهاب والابتزاز والتشهير كما عبرت عن اعتقادها بأن الغرب لم يكن مستعداً للمقامرة بإشعال حرب نووية ، ولهذا فإن الصين عارضت التراجع عن سياسة حافة الهاوية وطالبت بالامتناع عن تقديم أية تنازلات للإمبريالية تحت وهم الخوف من الحرب النووية .

وهذا الموقف للحزب الشيوعى الصينى إنما يسانده رأى ماوتسى تونج فى أن

الرجعيين والاستعماريين والقنبلة الذرية ليسوا سوى « نموراً من الورق[١] » .

ويصل ماوتسى تونج إلى هذه النتيجة على أساس تحليل ماركسى للظروف المحيطة بالظواهر الدولية . فقد ذكر فى اجتماع ممثلى الأحزاب الشيوعية فى موسكو فى نوفمبر ١٩٥٧ أن « جميع الرجعيين الذين يقال إنهم أقوياء ليسوا فى الواقع إلا نموراً من الورق ، لقد وضعنا خلال فترة طويلة وبغرض مقاتلة العدو هذا المفهوم : علينا من وجهة النظر الاستراتيجية أن نزدرى بجميع الأعداء وبمعنى آخر علينا أن نهزأ بالعدو بمجموعة . فإذا لم نهزأ بالعدو بمجموعة فإننا نرتكب خطأ الانتهازية .

إن ماركس وإنجلز لم يكونا إلا شخصين اثنين وقد سبق أن أعلنا فى عصرهما أن الرأسمالية سيطاح بها فى العالم بأسره » .

ويؤكد ماوتسى تونج أن امتلاك الاستعمار للأسلحة النووية لم يغير من طبيعته المتعفنة المنهارة ، وأنه يبدو قوياً فى ظاهره ولكنه ضعيف فى حقيقته فيذكر « أن القنبلة الذرية نمر من الورق يستخدمه رجعيو الولايات المتحدة لإخافة الشعب ، إنها تبدو مرعبة . ولكنها فى الواقع ليست كذلك ومن المؤكد أن القنبلة الذرية سلاح للإبادة بالجملة ولكن الشعب هو الذى يقرر مصير الحرب ولا يقرر مصيرها سلاح جديد أو سلاحان جديدان .

ولم يتأثر الاتحاد السوفييتى كثيراً بهذا الهجوم الموجه ضده وكانت عقيدته هى أنه بزيادة إمكانيات الكتلة الشيوعية من الأسلحة النووية ، فإنه كان من الممكن إحراز تقدم نحو عقد اتفاقات تحول دون وقوع كارثة الحرب النووية ، وتؤدى إلى نزع السلاح وتخفيف حدة التوتر الدولى كما كان السوفييت يعتقدون فى الدبلوماسية المباشرة باعتبارها الأداة المثلى على أعلى المستويات لتحقيق هذه الأهداف .

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان الاتجاه السوفييتى هو تحييد التنافس بالأدوات

---

(١) « السياسة الدولية – الصين الشعبية والاستراتيجية الدولية » . بقلم إسماعيل صبرى مقلد عدد يناير ١٩٧٢ .

الاقتصادية مع الولايات المتحدة مع تقليل كمية العنف المستخدم فى أى مواجهة إلى أدنى حد ممكن .

أما الصينيون فلم تكن لهم مثل هذه العقيدة فى جدوى المواجهة عن طريق التنافس بالأدوات الاقتصادية . وإنما ركزوا كل اهتمامهم على أسلوب الصراع العنيف وكان من رأيهم أن العدوان الأمريكى لن يستسلم إلا إذا أكره على ذلك بالقوة المسلحة .

من هنا فقد تحمس الصينيون لفكرة الالتزام الثورى من جانب العالم الشيوعى وصولاً إلى تحقيق أهداف التاريخ . وبغير ذلك فإن مسيرة التاريخ — فى رأيهم — لا بد وأن تتعثر بفعل المخططات والمؤامرات الإمبريالية .

أما الاتحاد السوفييتى فقد كان يؤثر التريث وعدم الانفعال حتى يمكن تقرير طبيعة الظروف الزمانية والمكانية التى تسمح بتدخله الاستراتيجى .

وهذه النزعة السوفييتية المتحفظة عارضها الصينيون الذين كانوا يؤثرون من جانبهم خلق المواقف الثورية والتدخل فيها حتى وإن اشتمات على خطر الدخول فى حرب بسببها ضد الغرب .

وكان من رأى الصينيين أن النظام الرجعى العالمى لن يتهاوى وينتهى إلا بفعل الضربات المضادة الموجهة إليه من الحركات الثورية المدعمة بقوة العالم الشيوعى كما أن التعايش السلمى لم يكن أكثر من سياسة تكتيكية يجب ألا تعطى من التركيز إلا أهمية محدودة ، وأنها كانت يجب أن تخضع أولاً وقبل كل شىء لمتطلبات الصراع الثورى الذى طلبت بكين من الاتحاد السوفييتى أن يؤازره بلا أدنى تحفظ وكان الاعتقاد الصينى هو أن السلام الذى كانت تدعو له أمريكا لم يكن إلا نوعاً من الخديعة والتغرير كما كان وسيلة خبيثة لتخدير الشعوب وجعلها توقف صراعها ضد العدوان الإمبريالى .

وفى ازدرائهم لمخاوف الاتحاد السوفييتى من مخاطر الحرب النووية العامة يقول الصينيون ، إن الحرب النووية لن تشعلها الصراعات الثورية وحروب التحرير الوطنى والدليل على ذلك أن هذه الحروب والثورات حدثت فى قارات مختلفة واستوات

طويلة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك لم تقع بسببها الحرب النووية. بل إنه على العكس من ذلك فإن هذه الحروب الوطنية أمكنها أن تفسد الاستراتيجية الإمبريالية الأمريكية الهادفة إلى إثارة الحروب العالمية .

وإذا كان الروس يرون أن نزع السلاح يعنى نزع سلاح قوى الحرب وإزالة العسكرية واستبعاد التدخل المسلح فى الشئون الداخلية لأى دولة والقضاء تماماً على أشكال الحكم الاستعمارى فإن الحزب الشيوعى الصينى يرى أنه يجب توجيه الجهود لا من أجل نزع السلاح ولكن لفضح توسع التسلح الاستعمارى والاستعدادات الحربية الاستعمارية ومقاومتها ويرفض القول بأنه يمكن استئصال الحكم الاستعمارى عن طريق نزع السلاح . وبينما يرى الروس أن التعايش السلمى أو « المباراة السلمية » خير سياسة تحقق مصالح العالم أجمع كما دلت التجارب وأنه « فى ظروف التعايش السلمى سجلت انتصارات هامة جديدة خلال السنوات الأخيرة فى النضال الطبقى للبروليتاريا وفى نضال الشعوب من أجل الحرية الوطنية وأن التطور التحريرى العالمى يسير بنجاح ، فإن الحزب الشيوعى الصينى يرى أنه على الرغم من أن الصين كانت إحدى الدول المبتكرة للمبادئ الخمسة المعروفة للتعايش السلمى وأنها أقامت علاقات الصداقة مع دول كثيرة على أساس تلك المبادئ وأنها تنادى بضرورة تسوية المنازعات بين الدول بالطرق السلمية فإنه لا يمكن أن يحل التعايش السلمى « والمباراة السلمية » محل النضالات الثورية للشعوب . ولا يمكن تطبيق مبدأ التعايش السلمى على العلاقات بين الشعوب المضطهدة ومضطهديها . وهكذا يمتد الخلاف الأيديولوجى بين الدولتين من قضية إلى قضية وكل منها يتصل بأوثق الصلات بالقضايا الأخرى [1].

فقد كان من رأى خروشوف مثلا أن تقديم المساعدات الاقتصادية إلى الدول حديثة الاستقلال يمكنها من « أن تتجنب خطر استعباد جديد وأن تدفع تقدمها وتسهم فى تطورها الطبيعى وفى دفع سرعة العمليات الداخلية التى قد تمضى بهذه البلدان فى الطريق الرئيسى الذى يقود إلى الاشتراكية » ولم تنكر الصين أهمية تقديم هذه المساعدات الاقتصادية إلى الدول حديثة الاستقلال من جانب الدول

---

(١) محمد فتح الله الخطيب : الحزب الشيوعى الصينى والسياسة الدولية — السياسة الدولية يناير ١٩٦٦ .

الشيوعية ولكنها عارضت فكرة أن هذه المساعدات وحدها تؤدى إلى استقلالها وتقدمها الاجتماعى واتهمت الاتحاد السوفييتى بأنه قد فقد الحماس الثورى واستجاب للتفاهم مع دول الغرب الرأسمالية ذلك أن قادة الحزب الشيوعى السوفييتى قد ابتكروا نظرية جديدة تقول بأن حركة التحرر الوطنى قد دخلت مرحلة جديدة محورها الأساس الاقتصادى الذى هو الحلقة الأساسية فى دفع الثورة وتطورها وذلك على غير ما كان عليه النضال فى الماضى عندما كان يدور فى المجال السياسى .

وترى الصين أن المرحلة الجديدة التى دخلتها حركة التحرر الوطنى تتميز بارتفاع مستوى الوعى السياسى للشعوب فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية إلى درجة لم يسبق لها مثيل ، وباندفاع الحركة الثورية قدما وبمطالبة الشعوب بإحاح باستئصال قوى الاستعمار وعملائه بإرساء استقلال سياسى واستقلال اقتصادى كاملين .

وهكذا بينما تتجه سياسة الاتحاد السوفييتى إلى محاولة منع الحرب العالمية يستمر الحزب الشيوعى الصينى فى دعوته إلى استخدام أساليب النضال العنيفة غير مبال بخطر الحرب النووية هازئاً من فكرة المباراة السلمية بين النظامين الاجتماعيين المعاصرين .

الثورة الثقافية تعمق الخلاف الإيديولوجى السوفييتى الصينى :

وقد تعمق النزاع الصينى السوفييتى إلى أقصى درجة إثر نشوب الثورة الثقافية فى الصين ، التى جعلت من نقد الاتحاد السوفييتى أحد مبادئها الأساسية وعملت على ترسيب العداء له . . وقد ركز الاتحاد السوفيتى كل أدوات دعايته وفى طليعتها صحيفة البرافدا السوفييتية ضد هذه الثورة فمن ذلك ما نشرته صحيفة «البرافدا» فى مقال لها بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٦٧ تحت عنوان : « السياسة المناهضة للسوفييت التى ينتهجها ماو وجماعته » حيث قالت : لقد فات زمن طويل على الوقت الذى كان يستطيع فيه نشاط جماعة ماو تسى تنج أن يبدو معبراً عن خلافات أيديولوجية وقضايا جدلية داخل الحركة الشيوعية . إن جماعة ماو تسى تونج لم تقتصر على الهجوم على سياسة الحزب الشيوعى السوفييتى ، بل إنها تمادت

وأقدمت على خرض صراع سياسى سافر ضد بلادنا وضد حزبنا وشعبنا . وقد دخل هذا الصراع مرحلة جديدة أكثر خطورة فى أعقاب الاجتماع العام الحادى عشر للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى الذى عقد فى الصيف الماضى وبداية ما يسمى بالثورة الثقافية ، غير أنه تفاقم فى الآونة الأخيرة . ومن أبرز صوره الحملة المعادية للسوفييت التى تشنها قيادة — ماو — دعايات القذف والتشهير التى تشوه بنية سيئة كل خطوة يتخذها الاتحاد السوفييتى فى سبيل السلام والاشتراكية — فالصحف والإذاعات الصينية تبذل كل ما فى وسعها لتشويه سمعة شعبنا وحزبه . بل وأكثر من هذا فإن الدعايات الصينية أخذت منذ شهور عدة تحرض الشعب السوفييتى على قلب نظام حكمه القائم ورفع « لواء ماو تسى تونج على الميدان الأحمر »وتأسيس نظام جديد فى الاتحاد السوفييتى على غرار القاعدة التى يرسمها ماو فى الصين .

وتستطرد البرافدا قائلة « ويحاول قادة الصين الحاليين جاهدين أن — يفتعلوا صورة (للسخط الشعبى) فيزجوا فى الحملة المعادية بالآلاف ممن خدعتهم قصص اختفاء أعوان ماو تسى تونج وعن وحشية ملطخة بالدماء فى الاتحاد السوفييتى وقد جعل منها جهاز الدعاية برمته شغله الشاغل ، فهو ، لا يفتأ يستثير النوبات الهستيرية بأقاصيص عن فظائع لم يسمع بها [1] » .

ومما جاء فى هذا المقال التى نشرته « البرافدا » نستوضح ضخامة الحملة الدعائية التى تشنها الصين ضد السوفييت وكيف يقندها السوفييت .

والحقيقة أن مجال حرب الدعاية بين الصين والاتحاد السوفييتى قد انتقل إلى مواقع أخرى خارج البلدين — فكلا البلدين يعمل على نشر المبادئ الشيوعية من الزاوية التى يؤمن بها ولهذا انتقل الصراع الدعائى السوفييتى الصينى إلى مواقع كثيرة فى العالم الثالث فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية .

وتعد الصين دعايتها بطريقة مدروسة ومتكاملة فقد حشدت مجهودات ضخمة لخدمة أهدافها وتأكيد وضعها الدولى فى مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى وتايوان ، بغرض تزعم العالم الثالث فى مواجهة الاستعمار .

---

(١) السياسة الدولية « الثورة الثقافية فى الصين » . عدد يناير ١٩٦٨ .

ويقوم التكتيك الدعائى الصينى على الترويج للنقاط الأساسية التالية :

أولا : أنها دولة ملونة تشعر بمشاكل الشعوب الملونة .

ثانياً : أنها دولة عانت من الاستعمار مثلها مثل سائر شعوب العالم الثالث .

ثالثاً : أنها دولة نامية .

وأنه على الدول النامية التى تعتبر (ريف العالم) أن تتحد فى مواجهة (مدن العالم) وهى الدول الغربية المتقدمة، بحصارها عن طريق الكفاح المسلح — والجدير بالذكر أن الدول الغربية أصبحت تشمل فى التعريف الصينى الاتحاد السوفيتى أيضاً .

الخلاصة :

وخلاصة القول أنه مهما اختلفت وجهات النظر بالنسبة للصراع الصينى السوفيتى وتقييم هذا الصراع وأثره على الدول النامية والدول التى ما زالت تكافح ضد الاستعمار ، فالأمر الذى لا شك فيه أنه يدعم وقف الاتحاد السوفيتى فى تزعمه للجبهة العالمية المنادية بنبذ الحرب بين النظامين الاجتماعيين وإحلال التنافس السلمى مكانها .

فليس من شك أن هذا الخلاف قد قوى من رصيد الثقة فى صدق الدعاية السوفيتية القائمة على الدعوة إلى التعايش السلمى ، فالاتحاد السوفيتى إذ يضحى بصداقة العملاق الشيوعى الصينى على مذبح السلام العالمى لا يعقل أن يكون هازلا أو منافقاً فى دعوته ، وهكذا تكسب الدعاية السوفيتية رصيداً جديداً هائلا من ثقة شعوب العالم بما فى ذلك العالم غير الشيوعى .

• • •